المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر يوم الاربعاء غرة صفر سنة ١٣٢١ — ٣ مايو (نيسان) سنة ٩٠٣ ﴾

﴿ الكرامات والخوارق ﴾

﴿ المقالة التاسعة فيما ينبغي عليه التعويل ﴾

علم مما تقدم ان الامور الغريبة التي تسمى خوارق عادات وعجائب منقولة عن جميع الامم فهي واقعة حتما ومنقولة بالتواتر اللفظي وبالتواتر المعنوي وان ادعاها كثيرون من الناس كذبا وتمحلوا للاشتهار بها تمحلا . ثم ان هذه الامور على ضربين — ضرب عرف عن أهله أنه صناعي يتوصل اليه بالعلم والعمل كالسحر والشعوذة فهو من الخوارق بالنسبة الى الذين لا يعرفون طريقه ولم يقفوا على علله قال الله تعالى « يعلمون الناس السحر » وقال عز وجل « يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى » أي والحقيقة خلاف ذلك التخيل وقال « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » وقال حكاية عن فرعون « إنه لكبيركم الذي علمكم السحر » . وضرب عرف عن أهله انه ليس له طريق صناعي يوصل اليه العلم وإنما هو وراء الاسباب . والثابت القطعي من هذا القسم آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم الكلام عليها في المقالة الأولى وفي الامالي الدينية . ومنه ما يدعيه أو يُدَّعى لكبار رجال الدين من أهل الملل والكلام فيه والمقصود منه بالذات ما عندنا معشر المسلمين

وقد ذكرنا حجج مثبتي الكرامات وحجج منكريها وأوردنا مارواه المثبتون من الكرامات المأثورة عن الصحابة والتابعين وبينا ما صح منها ومالم يصح فليراجع كله في المجلد الثاني من المنار . وإننا نختم القول في مبحث الكرامات بمسائل أكثرها مستفاد من المقالات السابقة وهذه المسائل هي خلاصة رأينا في الموضوع فمن أنكر علينا منها شيئاً فليكتب الينا مدليا بحجته ونعده بأننا ننشر ما يكتب بمعناه أو بلفظه اذا كان صحيحا ومختصرا وغير خارج عن محل النزاع استطرادا الى مسائل أخرى . فان كانت الحجة ناهضة سلمنا وان كانت داحضة بينا . ولا ينبغي لأحد أن يرد علينا في الموضوع الا بعد الاطلاع على المقالات التسع لئلا يبحث في شيء سبق بيانه فيهمل كلامه

(المسألة الاولى) إن الاصل في كل مايحدث في الكون أن يكون له سبب وأن يجري على سنة من سنن الله تعالى في الخلق وهذه الاسباب مطردة متى تمت شروطها (كما قال الغزالى) وتلك السنن ثابتة لاتبدل ولا تحول كما علم بالمشاهدة والاختبار وبنص القرآن فهى مسألة اتفق فيها الحس والعقل مع نصوص الشرع فهى قطعية

(المسألة الثانية) إن من قضايا العقول ، التي نصها علماء الاصول ، أن الظن الراجح لايعارض العلم اليقين وأيد هذا القرآن أيضا بمثل قوله تعالي « إن يتبعون الا الظن ، وان الظن لايغني من الحق شيئاً » وقوله عز وجل « وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون » وغير ذلك من الآيات الواردة في إبطال عقائد أهل الزيغ والجحود .

(المسألة الثالثة) اجمع العلماء من الاصوليين والمحدثين على أن روايات

الآحاد العدول الثقات كالصحابة وأئمة التابعين المعروفين ومن عرف بالصدق وحسن السيرة مثلهم لا تفيد أكثر من الظن . وأجمعوا على أنه اذا روي عنهم ما يخالف المعقول القطعي والمنقول القطعي كنص القرآن فإنه لا يعتد بالرواية ولا يعول عليها الا أن يوفق بينها وبين القطعي منقولا كان أو معقولا فقط

(المسألة الرابعة) ان العجائب والخوارق قد نقلت عن جميع الامم فليس من الصواب التفاضل بينها وادعاء أن بعضها على حق وبعضها على باطل بسبب ذلك وإنما يجب تمحيص النقول وتحريرها فان الناس مولعون أشد الولع بالغرائب ، وأكثر ما يتحدثون به منها كاذب ،

(المسألة الخامسة) كما يجب تمحيص النقل والرواية يجب تمحيص المروي المنقول من الغرائب ليعلم أنه واقع حقيقة ولم يكن تخييلا للانظار . أو خداعا للأبصار أو الافكار ،

(المسألة السادسة) قد كشف العلم أسبابا لأمور كثيرة كانت تسمى خوارق وكرامات فاذا علم بعد تمحيص الرواية والمروي أن شيئا من هذه الغرائب وقع لا محالة فينبغي الرجوع لالتماس الاسباب من مظانها في العلم الطبيعي وعلم النفس فان لم يظهر له سبب يحمل عليه ، ولا وجه يمكن أن يؤول اليه ، فهو الذي يصح أن يسمى خارقة أو أعجوبة والنظر فيه من وجهين — حال من ظهر على يده وإمكان قياسه على غيره

(المسألة السابعة) ثبوت الخارقة على ما ذكر طريقان الحس السليم والتواتر الصحيح وكلاهما عسر جدا لان الحواس تخدع حتى تكذب صاحبها فيما ترى وتسمع ، وأمر التواتر أشد في العسر وصعوبة التحقق فان من شرطه ان ينتهي الى حس محقق باليقين وقد علمت ان الحس يخدع في هذا المقام .

ومنها أن يكون الناقلون لذلك الخبر المحسوس جمعا يستحيل في العقل السليم تواطؤهم على الكذب واخذاعهم بما أدركوه بحسهم وأن ينقل عنهم مثلهم في كل طبقة من الطبقات ، وإنك ترى أكثر الناس يسمون الأمور المشهورة بينهم متواترة لاسيما اذا كثر تحدث الناس بها فاذا استقريت حلقات سلاسل الروايات وجدتها كلها متصلة في آخرها بحلقة واحدة أو حلقتين أو ثلاث مثلا . وما انتهى الى واحد أو آحاد فهو خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته وربما رجحت الكذب في أكثر الغرائب المشهورة التي يسمونها متواترة . الحق ان الانسان متهم طبعاً بإذاعة كل غريب لاسيما اذا صادف هوى في النفس أو طابق التقاليد والاعتقادات المسلمة . فالحمد لله الذي جعل آية نبينا بينة قائمة على وجه الدهر محفوظة من المعارضة والنقض ، مادامت السموات والارض ،

(المسألة الثامنة) إنك اذا بحثت في حال الذين يدعون الخوارق تجدهم طلاب مال وطلاب جاه وأنهم يقصدون بما يأتون استرهاب الناس بما يوهمونهم من قدرتهم على إيذائهم متى شاؤا أو تعليق آمالهم بهم وإيهامهم ان بأيديهم مقاليد الرزق ومفاتح الخير أو الجمع بين الامرين حتى إنهم جعلوا ارادة الله تابعة لإرادتهم كما قالوا في الكلمة المأثورة عن الربانيين منهم وهي : « ان لله عباد، اذا أرادوا أراد » (هكذا يقولونها بالوقف على العباد على لغة ربيعة) وينقلون عنهم من مثل هذه الجرأة على الله تعالى كلمات كبيرة وأشعاراً وأغاني تختلب قلوب العامة . وفي كتب العقائد التي تقرأ في الازهر وغيره من المدارس الدينية (كحواشي الباجوري على الجوهرة والسنوسية) ان خوارق العادات تظهر على أيدي جميع أصناف الناس حتى الكفار والفساق وتسمى اذا صدرت من هؤلاء على نحو ما يحبون استدراجا

لأنها تغرهم بما هم فيه من الباطل فيسترسلون فيه حتى لا مطمع في هدايتهم وإذا ظهرت على يد مستور الحال تسمى معونة . ويخصون اسم الكرامة بالخارقة التي تكون للمتمسك بالشريعة اعتقادا وتخلقا وعملا في الظاهر والباطن .

وإنا نقول لمن يأخذون أقوال هؤلاء العلماء بالتسليم : اذا كانت الخوارق تقع على أيدي جميع طبقات الناس فلا يجوز الاستدلال بها على ان من تظهر على يديه محق في اعتقاده أو مرضي عند ربه و إنما يعرف ولي الله تعالى والصالح من عباده بأمر واحد وهو مطابقة اعتقاده للحق المؤيد بالبراهين الصحيحة وموافقته في أخلاقه وسجاياه وأعماله السرية والجهرية لما أرشد اليه الدين والعقل من الفضائل والمنافع العامة والخاصة بقدر الاستطاعة . ونحن نرى العامة يبيحون لمن يجري على يديه شيء من الغرائب جميع المنكرات فهم يحكّمون خوارقه في حاله من الاعتقاد والعمل ، والعلماء يحكّمون حاله في خوارقه . فقد تناقض اعتقاد العامة مع اعتقاد العلماء ولا نرى أحداً منهم ينكر على الآخر ولا يجذبه اليه لأن حرية الإسلام قد انقلبت الى فوضى بعد ذهاب منصب الخلافة وتولية الجاهلين بالدين أمور المسلمين

(المسألة التاسعة) من رأى بعينه خارقة للعادة أو نقلت اليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعا ولا تخييلا وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة ولا من طلاب المال والجاه واستمالة القلوب الى الاعتقاد به وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل الآتية فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول : ان كثيرا من الغرائب وخوارق العادات المألوفة قد كان يظن أنها خارجة عن نظام الخليقة وسنن الكون ومنتثرة من سمط الاسباب التي تنتظم بها المسببات ثم ظهر

أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية ، ولا نادة من دائرة الاسباب الكونية ؛ وهذا الذي أراه الآن ، هو مثل تلك في ذلك الزمان؛ فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب ، وتزول الغرابة ويبطل العجب :

وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

(المسألة العاشرة) اذا فرضنا أن العلم اظهر لما يؤثر من المعجزات عللا روحانية وأسبابا خفية فلا يهمن واهم ان ذلك قدح في النبوة اوظهور لبطلانها . كلا إنه إن تحقق فلا يبعد ان يكون تحققه مظهر الحقيقة النبوة كأن يتبين ان الارواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد من عالمه الذي يسمى الملائكة قوة العلم والهداية وقوة الاعمال الغريبة كإحياء الموتى وقلب العصا حية . فان لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه لأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة والخفية وما كانوا يدعون ان لهم سلطانا في ملك الله تعالى يتصرفون فيه بمشيئتهم وإرادتهم متى شاؤا وكيفما شاؤا وإنما كانوا يتبرؤن من حولهم وقوتهم ويسندون ما يؤيدهم الله سبحانه به اليه ، ويقولون انه واقع بإذنه وقد كان اعتمادهم في دعوتهم الى الله على البرهان وكانوا لا يعطون الآيات الا بعد معاندة ومجاحدة من قومهم وإلحاح في طلب آية لا يعرف مثلها عن البشر في افعالهم السببية وكان الله تعالى يقيم عليهم الحجة التي يطلبونها ولم تكن هي العمدة في إثبات الدعوة الى الله وبيان وحدانيته وقدرته وعلمه ووحيه « ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم جاءتهم

رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في افواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب * قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا إن انتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ٠»

فهذه هي سنة الله في الانبياء والامم — يدعو النبي قومه الى الله بالبينة وهي كل ما يتبين به الحق من برهان عقلي ودليل إقناعي فيطلبون منه آية كونية فيتبرأ من حوله وقوته الى حول الله وقوته فيعطيه آية يخوفهم بها فيخضع له المستعد لقبول ذلك ويعاند الآخرون فتحق عليهم كلمة العذاب . قال تعالى «وما نرسل بالآيات الا تخويفا » . فاذا فرضنا ان العلم أظهر سببا معقولا لآيات موسى عليه السلام فهل ينافي ذلك انها كان تخويفا لفرعون وقومه وجاذبة لبني اسرائيل الى طاعة موسى بالإرهاب اللائق بامثالهم في بلادتهم وجفوتهم ؟

ثم انما يتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يحتج على صحته الا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، أولئك الذين ينعقون في كل بلاد إسلامية: إن القرآن لم يثبت لمحمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) العجائب والخوارق فهو ليس بنبي ودعوته ليست صحيحة : فالعلم الإلهي والشرائع الدينية والمدنية والحربية والسياسية وتكوين الامم وتربيتها من رجل أمي تربى يتيما في جاهلية جهلاء وأمة أمية لا يرونه تأييدا إلهيا، وبرهانا على صدقه قطعيا، وانما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب مقدسيهم وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها

(المسألة الحادية عشرة) يؤيد ما ذكرناه في معنى آيات الانبياء وكونها لم تكن براهين لإثبات الدين ما جاء في الباب الثالث عشر من تثنية الاشتراع آخر أسفار التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهو « (١) اذا قام في وسطك نبي أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلا لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم لان الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم » وما جاء في الباب السابع من انجيل متى وهو : « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط اذهبوا عني يافاعلي الإثم » وفي الباب ٢٤ منه « لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لوامكن المختارين ايضا » فعلم من هذا ان اليهود والنصارى يجب ان يوافقوا علماء الكلام من المسلمين على ان الخوارق الكونية ليست دلائل برهانية قطعية على اصول الدين وعقائده وصدق دعاته كما أوضحنا ذلك في الدرسين ٢٩ و ٣٠ من الامالي الدينية (راجع ص ٣٧١ و ٦٨٨ م ٤) وقد اختلف المتكلمون في دلالة المعجزة على النبوة هل هي عادية او عقلية او وضعية وقد رجح الأخير بناء على انها بمعنى تصديق الله لهم بالقول

(المسألة الثانية عشرة) سبق في المقالات الاولى أن أصحابنا فرقوا بين معجزة النبي وكرامة الولي بان الاولى لابد أن تكون مقرونة بدعوى النبوة وطلب المعارضة الذي يسمونه التحدي والثانية لاتكون كذلك وبأن الاولى يجب اظهارها لإقامة الحجة، والثانية يجب اخفاؤها خوف الفتنة،

وزاد بعضهم كالقشيري من أئمة الصوفية والسبكي في الطبقات الكبرى أن الكرامة لا تبلغ مبلغ المعجزة كإحيا الموتى وانما تكون فيما دون ذلك كشفاء مرض ومكاشفة خلافا للقول المشهور ه ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، ولقائل أن يقول جمعاً بين القولين : اذا جاز ذلك في تصور العقل ، فانه ما وقع ولا يقع بالفعل ،

(المسألة الثالثة عشرة) قال الشيخ محي الدين بن عربي أحد أئمة الصوفية ان خارق العادة لا يتكرر فان كل ما يتكرر يكون معتاداً سواء عرف سببه أو لم يعرف . وهذا القول معقول وهو يقضي القضاء المبرم على تلك الزحوف والفيالق من حكايات الكرامات التي يحارب بها العامة عقلاء الناس الذين لا يستخذون ويخنعون لأولئك الجهال الذين يدعون الولاية بحجة أنهم في كل يوم يخبرون الناس بالمغيبات ويبرؤن المرضى من الأسقام ببركاتهم ونحو ذلك . ويسمون هذا على تكراره كل يوم كرامة وما هو بكرامة وإنما بعضه كذب واختلاق وبعضه واقع بالاسباب التي سننبه عليها ولكنه أسند الى غيرها أو ادعي فيه الكرامة (للمسائل بقية)

دعوى صلب المسيح

﴿باب شبهات النصارى وحجج المسلمين﴾

جاء في الجزء الاخير من الجريدة البروتستنية نبذتان في الطعن بالإسلام إحداها محاورة في صلب المسيح ، والثانية طعن في القرآن وقبيح ، وقد كانت هذه المجلة تطعن في الإسلام وكتابه ونبيه مع شيء من الأدب ونراها في هذه المدة هتكت ستار الأدب وتجاوزت حدوده مع أننا كنا نرجو ان تزيد في تحريه بعدما أسند تحريرها الى نقولا أفندي روفائيل الذي نعرفه دمثا لطيف الشمائل ولكنها نشوة الحرية في مصر ، والشعور بضعف نفوس المسلمين في هذا القطر ، فعلا في نفوس هؤلاء الدعاة الى